مواقف جريدة «الكرمل» من الصهيونية في العهد العثماني

يوسف حدّاد

لم تظهر في العالم العربي روح معادية لليهود في مطلع عصر النهضة ونشوء الشعور القومي العربي في القرن التاسع عشر، الا «بعد ان اخذت طبيعة الوجود اليهودي في فلسطين تتحول عن الطابع الديني والمعايشة الى الطابع الاستعماري الاستيطاني الزراعي بوحي الافكار الصهيونية والسيطرة، الامر الذي عكس نفسه، تلقائياً، في تغير موقف اليهود من السكان العرب في البلاد»[١]. وبدأت روح العداء لليهود تظهر قبل مؤتمر بازل ١٨٩٧ عندما اخذ المستوطنون اليهود يعملون على اجلاء الفلاحين من الاراضي التي اشتروها من الاقطاعيين ومن الحكومة. وحدثت اصطدامات عام ١٨٨٦ بسبب هذا الاجلاء، الامر الذي دفع السلطة التركية الى فرض قيود على هجرة الصهيونيين الى فلسطين، الذين كانوا يفدون كسياح. ولم تقتصر روح العداء نحو الصهيونيين على الفلاحين، بل شملت جميع القطاعات، تجاراً وحرفيين ووجهاء. وكانت هذه الروح ناتجة عن ادراك سليم ووعي عميق لابعاد الخطر الصهيوني. ولقد تمثل هذا الادراك والوعي في العرائض المقدمة إلى السلطة، وفي كتابات رشيد رضا ويوسف الخالدي ومفتي القدس محمد طاهر الحسيني. وتجلى الوعي بصورة اعمق في تحذيرات نجيب عازوري، في كتابه «يقظة الامة العربية» الصادر في باريس العام ١٩٠٥، والذي اشار فيه الى «ان المخططات الصهيونية تناقض الأماني العربية»، كما نادى بضرورة فصل الاجزاء العربية عن الامبراطورية العثمانية من أجل إقامة دولة عربية واحدة مستقلة. ويرجح ان يكون الدافع المباشر الذي حدا بنجيب عازوري للمطالبة بالانفصال الكامل عن الدولة العثمانية هو الاعتقاد باستحالة صد الخطر الصهيوني في اطار دولة مكبلة بقيود «الامتيازات الاجنبية التي كان اليهود يستغلونها ايما استغلال»[٢].

وبتزايد الوعي القومي عند العرب، وحصول الهجرة الصهيونية الثانية (١٩٠٥ ـ ١٩٠٧) واطلاع المثقفين العرب على المخططات الصهيونية ومقاطعة اليد العاملة العربية، اخذت المخاوف العربية تزداد، وروح العداء للصهيونية تشتد، لا سيما بعد محاولات هرتسل العام ١٩٠١ اقناع الدولة العثمانية بالموافقة على جعل فلسطين وطنا لليهود. وعلى الرغم من افلاس الخزينة التركية